العدد 5 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية آيار 2024
No. 5 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences May. 2024
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

سلطة الخطاب في سورة يوسف

م.م سيماء فاضل مشكور الظالمي
العراق / المثنى/ السماوة/ المديرية العامة لتربية المثنى
Simaa.fadhel@gmail.com

ملخص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ والصلاة والسلام هلى أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبيين الطاهرين ... وبعدُ

تتجلى سلطة اللغة في جانبها الاستعمالي الذي يمارسه المتكلم لتوجيه المتلقي إلى فكرته، ويعمد المتكلم إلى اسستعمال صيغا معينة أو إيراد نماذج محددة في خطابه بحسب نوع الخطاب وبحسب المتلقي ، فيضمن خطابه ما يحتاجه من أدوات لغوية، وتمثل هذه الأدوات والصيغ سلطة يمارسها المتكلم لتقوية فكرته بحسب المقام والسياق.

وتلعب سلطة الخطاب دورا مهما في توجيه فكر المتلقي، وإقناعه بالفكرة التي يتبناها المتكلم، وتتمثل سورة يوسف مظاهر السلطة واضحة جلية، ويستعمل فيها المتكلم مجموعة من الوسائل لتحقيق تلك السلطة، وحاولت في هذا البحث المتواضع البحث عن تلك المظاهر السلطوية، فجاء البحث في مبحثين الأول في مظاهر السلطة في سورة يوسف والثاني في وسائل السلطة ثم خُتم البحث بمجموعة من النتائج.

الكلمات المفتاحية : السلطة، الخطاب، سورة يوسف، اللغة، المتلقي

The authority of discourse in Surat Yusuf

A.L. Saimaa Fadel Mashkour Al-Dhalimi, Iraq / Al-Muthanna / Samawah /
General Directorate of Muthanna Education
Simaa.fadhel@gmail.com

summary

In the name of God, the Most Merciful, the Most Merciful, and prayers and peace be upon the most honorable of creation and messengers, our Master Muhammad, and upon his pure and pure family...and after.

The authority of language is manifested in its usage aspect, which the speaker exercises to direct the recipient to his idea. The speaker intends to use certain formulas or include specific models in his speech, according to the type of speech and the recipient. Thus, his speech guarantees the linguistic tools he needs, and these tools and formulas represent authority that the speaker exercises to strengthen his idea according to Position and context

The authority of the discourse plays an important role in guiding the thought of the recipient, and persuading him of the idea adopted by the speaker. Surat Yusuf represents clear and obvious manifestations of authority, in which the speaker uses a set of means to achieve that authority. In this modest research, I tried to search for those manifestations of authoritarianism. In the manifestations of power in Surat Yusuf, and the second in the means of power, then the research was concluded with a set of results.

key words : Authority, discourse, Surat Yusuf, language, recipient

المفهوم اللغوي للسلطة:

جاء في معجم العين للخليل (ت 170ه): "سلط: السَّلاطةُ مصدر السَّليطِ [من الرجال] والسَّليطةِ من النِّساء، والفِعلُ سَلُطَتُ اذا طالَ لسانُها واشتَدَ صَخَبُها، ورجل سَليط. والسَّليطُ: الزَّيتُ[1].

وقال ابن فارس: "والسَّلاطةُ بِمَعْنى الحِدّة... إذا قَالُوا: امرأةٌ سَليطةُ اللِّسان، فَلهُ معنَيان: أحدُهما: أنّها حَدِيدَة اللِّسان، وَالثَّانِي: أَنَّهَا طويلةُ اللِّسَان"[2].

وقال ابن منظور: "سلط: السلاطة: القهر، وقد سلطه الله فتسلط عليهم، والاسم سلطة، بالضم. والسلط والسليط: الطويل اللسان، والأنثى سليطة وسلطانة و سلطانة، وقد سلط سلاطة وسلوطة، ولسان سلط وسليط كذلك. ورجل سليط أي فصيح حديد اللسان بين السلاطة والسلوطة. يقال: هو أسلطهم لسانا، وامرأة سليطة أي صخابة"[3].

و"السُّلْطانُ في معنى الحُجّة، قال تعالى: {هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ} (الحاقة:29) أي حُجّتِيَه. والسُّلْطان: قُدرةُ المَلِكِ، [مثل قَفيز وقُفزان وبَعير وبعران] ، وقُدرة من جُعِلَ ذلك له وإنْ لم يكن مَلِكاً، كقولك: قد جَعَلْتُ له سُلطاناً على أخذِ حقي من فلان"[4].

و "السَلاطَةُ: القهرُ. وقد سَلَّطَهُ الله فتسلط عليهم. والاسم السلطة بالضم. والسلطان: الوالى، وهو فعلان يذكّر ويؤنّث، والجمع السَلاطينُ. والسُلْطانُ أيضاً: الحجَّةُ والبرهانُ، ولا يجمع لان مجراه مجرى المصدر"[5].

المفهوم الاصطلاحي للسلطة:

اختلفت آراء المفكرين والباحثين والفلاسفة في وضع مفهوم ومعنى محدد للسلطة كل حسب رؤيته وعقيدته : فأهل السياسة يرون أن السلطة) هي المرجع الأعلى المسلم له بالنفوذ أو الهيأة الاجتماعية القادرة على فرض أرادتها على الإرادات الأخرى ، بحيث تعترف الهيئات الأخرى بالقيادة والفصل وبقدرتها وحقها في المحاكمة وإنزال العقوبات وبكل ما يضفي عليها الشرعية ، ويوجب الاحترام لاعتباراتها والالتزام بقراراتها وتمثل الدولة السلطة التي لا تعلوها سلطة في الكيان السياسي ويتجسد ذلك من خلال امتلاك الدولة نسمة السياسية[6].

وقيل : هي الفئة الحاكمة التي تقع على رأس الكيان السياسي للمجتمع وقيل (هي القدرة على ضمان الإذعان والامتثال لأسباب تتعلق بالقيم والقواعد الأساسية يقر بها عموماً بوصفها شرعية وهذه الأسباب متجسدة في شخص أو مؤسسة أو قرار أو عمل هي ال تي تقدم الصلة بين الشرعية والسلط، أما الفقيه (موريس دفرجيه) فيرى أن للسلطة السياسية معنيان : أولهما معنوي والآخر مادي فالسلطة السياسية بمعناها المعنوي تعني القوة والقدرة على السيطرة التي يمارسها الحاكم الحكام - على المحكومين والتي تتمثل في أصدار القواعد القانونية الملزمة للأفراد في أمكانية فرض هذه القواعد على الأفراد باستخدام القوة المادية أما السلطة السياسية في معناها المادي فتعني أجهزة الدولة التي تقوم بممارسة السلطة بمعناها المعنوي ، والتي يطلق عليها عادة اصطلاح الحكومة وأجهزتها التنفيذية[7] .

والسلطة:" هي إلزام الغير على فعل ما لم يكن يفعله من تلقاء نفسه، وتأخذ السلطة شكلين أساسيين:

---

[1] معجم العين للخليل: 313/7.

[2]) تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.:236/12.

[3] لسان العرب لابن منظور: 7/ 322.

[4] العين: 213/7.

[5] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: 4 – 1987 م.

[6]) الموسوعة السياسية، عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: 356/3.

[7]) نقلا عن السلطة السياسية في نظرية الدولة، ماهر عبد الهادي: 39.

1- الشكل الترابطي ويكون على شكل تعليمات وبرامج
2- تراتبي، ويكون على شكل أوامر.

وتستند علاقة السلطة على ثلاث أسس : الأول ، طرفي السلطة ، أي وجود من يصدر الأوامر بصفته الجهة القائمة بالمهام ومتطلبات السلطة (الجهة المعنية بممارسة السلطة) . والطرف الثاني هو المعني بتنفيذ تلك الأوامر . والمقوم الثاني هو إطار المؤسسة لعلاقة السلطة. اي الوعاء الحقوقي الذي تُنظم فيه علاقة طرفي السلطة (تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم) ، وأخيرا الشرعية التي هي من الأسس لبناء السلطة كونها علاقة مقبولة من قبل أفراد المجتمع مع مالكي السلطة (الرضا والقبول)[8]

الخطاب

المفهوم اللغوي: جاء في معجم العين للخليل: "الخِطاب: مراجعة الكلام. والخُطبة: مصدر الخطيب. وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخِطبة قام في النادي فقال: خِطْبٌ، ومن أراده قال: نكح. وجمع الخطيب خُطَباء، وجمع الخاطِب خُطّاب"[9].

وقال ابن فارس:" والخطب: الأمر يقع " وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة"[10].

الخِطاب اصطلاحًا:

يوجد وفرة من التعاريف التي تدل على الخطاب منها :"أنّ الخطاب مَجموعةٌ مُتناسقة من الجمل، أو النصوص والأقوال، أو إنّ الخطاب هو منهج في البحث في المواد المُشكّلة من عناصر متميّزة ومترابطة سواء أكانت لغة أم شيئا شبيهاً باللغة، ومشتمل على أكثر من جملة أولية، أو أيّ منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع وفي نية الراوي التأثير على المتلقي، أو نص محكوم بوحدة كلية واضحة يتألف من صيغ تعبيرية متوالية تصدر عن متحدث فرد يبلغ رسالة".[11].

المبحث الأول

مظاهر السلطة في سورة يوسف

تتخذ السلطة مظاهر متنوعة، وتتجلى في صور متفاوتة بين سلطة فوقية تتخذ من الأوامر الصارمة منطلقا لتنفيذ سلطتها، وبين سلطة فوقية تتخذ مظاهر متعددة بعيدا عن الأوامر الصارمة، والأشكال المتسلطة، وسنحاول في هذا المبحث تسليط الضوء على أهم مظاهر السلطة في سورة يوسف.

أولا: سلطة الخطاب الأبوي:

تعد العلاقة الرابطة بين الأب وأبناءه من العلاقات المهمة في تكوين الأبناء وشخصياتهم، ووفقا للنظام الاجتماعي فإنّ الأب يمارس سلطة على الأبناء في أغلبها هي سلطة توجيهية، يتفاوت الآباء في ممارستها بحسب ما يقتضيه نوع التربية، أو بحسب شخصية الأب في إدارته للنظام الأسري، ونلاحظ أنّ العلاقة بين النبي يعقوب، والنبي يوسف (عليهما السلام) تتسم بنوع خاص من التعامل لا نجد له مثيلا في النظام الأسري العادي؛ وذلك كونهما من أنبياء الله، ومن عباده المخلصين، فخطاب النبي يعقوب لولده يوسف (عليه السلام)، في قوله تعالى: " **قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ** (سورة يوسف، الآية 5)، وإن كان جاء بصيغة النهي، وأسلوب النهي ترافقه سلطة يتمتع بها الناهي، وهذه السلطة هي سلطة الأبوة للنبي يعقوب، ولكنها سلطة من نوع خاص جاءت بأسلوب يتصف بالرحمة والإشفاق والخوف فـ " تصغير ابن مع إضافته إلى ياء المتكلم... كناية عن

---

[8]) ينظر: علم الاجتماع السياسي، مولود زايد الطيب، منشورات جامعة السابع من ابريل، بنغازي، 2007: 76.

[9]) معجم العين للخليل: 222/4.

[10]) مقاييس اللغة لابن فارس: 198/2.

[11]) ينظر: "تحليل الخطاب"، هبة عبد المعز أحمد (03-03-20119)، مؤسسة النور للثقافة والإعلام

تحبيب وشفقة. نزل الكبير منزلة الصغير لأن شأن الصغير أن يحب ويشفق عليه. وفي ذلك كناية عن إمحاض النصح له"[12].

فكانت ممارسة النبي يعقوب لسلطته الأبوية على يوسف منبعها الخوف والإشفاق عليه لأنّ؛ " يعقوب فهم الرؤيا التي يشير تعبيرها إلى خضوع إخوته له، وتعظيمهم إياه تعظيما زائدا، بحيث يخرون له ساجدين إجلالا واحتراما وإكراما، فخشي يعقوب عليه السلام أن يحدث بهذا المنام أحدا من إخوته فيحسدونه على ذلك فيبغون له الغوائل حسدا منهم له"[13].

ويقول الشيرازي: "قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا وأنا أعرف إن الشيطان للإنسان عدو مبين وهو منتظر الفرصة ليوسوس لهم ويثير نار الفتنة والحسد وليجعل الإخوة يقتتلون فيما بينهم. الطريف هنا أن يعقوب لم يقل (أخاف من إخوتك أن يقصدوا إليك بسوء) بل أكد ذلك على أنه أمر قطعي، وخصوصا بتكرار (الكيد) لأنه كان يعرف نوازع أبنائه وحساسياتهم بالنسبة لأخيهم يوسف، وربما كان إخوته يعرفون تأويل الرؤيا، ثم إن هذه الرؤيا لم تكن بشكل يعسر تعبيرها"[14]

فسلطة النبي يوف تتخذ مسارين يجمعهم منبع واحد، هو السلطة الأبوية التي يمارسها الأب لحمية أبناءه.

وتتخذ مسارين: الأول: الخوف على النبي يوسف من كيد إخوته ، والثاني الخوف على إخوة يوسف أنفسهم من الشيطان الذي يوسوس لهم بأذية النبي يوسف (عليه السلام).

ومن مظاهر السلطة الأبوية في سورة يوسف قوله تعالى على لسان يعقوب:" **وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ" (يوسف:67).**

فهنا يوجه يعقوب (عليه السلام) خطابه السلطوي إلى أولاده، إذ أمرهم بالدخول من أبواب متفرق لأنهم:" كانوا رجالا لهم جمال وهيأة، فخاف عليهم العينَ إذا دخلوا جماعة من طريق واحدٍ، وهم ولد رجل واحد، فأمرهم أن يفترقوا في الدخول إليها"[15].

وكان أمر النبي يوسف لأولاده عن قصدٍ وسبب " وإنما نهاهم أن يدخلوا من باب واحد، لأنهم كانوا ذوى بهاء وشارة حسنة، اشتهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم، فكانوا مظنة لطموح الأبصار إليهم من بين الوفود، وأن يشار إليهم بالأصابع. ويقال هؤلاء أضياف الملك، انظروا إليهم ما أحسنهم من فتيان، وما أحقهم بالإكرام، لأمر مّا أكرمهم الملك وقرّبهم وفضلهم على الوافدين عليه، فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة، فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم في الصدور، فيصيبهم ما يسوؤهم، ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرّة الأولى، لأنهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس"[16]

فمارس النبي يعقوب خطابه السلطوي المستمد من عاطفة الأبوة على الرغم من معرفته بما فعلوه بأخيهم يوسف، إلا إنّ سلطة العاطفة الأبوية كانت هي الغالبة على سلطة الغضب من فعلتهم بأخيهم يوسف، فحب الأب لأولاده غريزة وضعها الله في قلوب عباده، تكاد أن تطغى على أي عاطفة أخرى في إطار العلاقات الأسرية.

---

[12]) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس هـ: 12/ 212-213.

[13]) الأساس في التفسير، سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)، دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، 1424 هـ: 5/ 2631.

[14]) الأمثل في التفسير المنزل، ناصر مكارم الشيرازي :128/7.

[15]) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م: 13/ 236.

[16]) الكشاف للزمخشري: 488/2.

ثانيا: السلطة الكاريزمية: وهذا المظهر من مظاهر السلطة يتجلى في شخصية الفرد نفسه، فيمتلك هذا الفرد سمات خاصة تكون ذات تأثير "حضورٌ مميّزٌ ومثير؛ كأن يدخل شخصٌ له حضوره المميّز إلى مكان ما، فيلفت انتباه الآخرين، بل تسيطر شخصيّته في ذلك المكان؛ فالطاقة الإيجابيّة التي يحملها تنعكس على الآخرين وتمنحهم الحياة والحيويّة والنشاط. وفي صميم وأعماق الكاريزما ثقة قويّة بالنفس وقدرة على إسقاطها على الآخرين"[17].

وتنقسم السلطة الكاريزميّة إلى نوعين؛ فقد تكون لصيقةً بشخص القائد، فتكون الخاصّيّة الكاريزميّة راجعة إلى القيادة، وقد تكون لصيقةً بالسلطة، فتكون الخاصّيّة الكاريزميّة راجعةً إلى السلطة لا إلى الشخص[18].

وتتمثل السلطة الكاريزمية بشخصية النبي يوسف (عليه السلام)' ونجد السلطة الكاريزمية لصيقة لما يتمتع به من مواصفات خاصة، تتمثل بتأثيره بمن حوله، ونجد ذلك بشغف زوجة العزيز به، **قال تعالى:" وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ"** يوسف: 23.

فـ"يوسف عليه السلام كان في غاية الجمال والحسن، فلما رأته المرأة طمعت فيه"[19]

فجمال يوسف(عليه السلام) كان ذا تأثير على امرأة العزيز جعلها تُشغف بحبه، وتخضع لسلطة الهوى، ولا تتمثل كاريزما النبي يوسف بالجمال وحده "وذلك أنها أحبته حبا شديدا لجماله وحسنه وبهائه"[20].

فشخصية يوسف (عليه السلام) كانت ذا تأثير قوي وأوضح ما يتجلى ذلك في قوله تعالى على لسان نسوة المدينة:**" فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ"** يوسف: 31.

فالاية تدل على عظيم ما يحمله النبي يوسف من حسنٍ وجمال وبهاء، وهذا جعل له سلطة كاريزمية تؤثر في النساء فيقطعن أيديهن دون أن يشعرن بالألم، فـ" فإن النسوة لما غلب على قلوبهن جمال يوسف ليه السلام وصلت تلك الغلبة إلى حيث قطعن أيديهن وما شعرن بذلك"[21].

ثالثا: سلطة النفس الأمارة بالسوء:

ونجد مظاهر هذه السلطة في أخوة يوسف حين أجمعوا على قتله، قال تعالى:**" ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ"** يوسف:9.

فسلطة النفس الأمارة بالسوء المتمثلة بالحسد، والحقد، والبغض لأخيهم جعلهم يفكرون في قتله:" فبين تعالى أن حسدهم له عبارة عن كراهتهم حصول تلك النعمة له"[22].

فسيطرة قوة الشر على قلوبهم وعقولهم، ولم يلتفتوا إلى عاقبة هذا الأمر العظيم فقالوا" اقتلوه قتلا لا مطمع بعده ولا أمل في لقائه، أو انبذوه كالشيء الذي لا قيمة له في أرض مجهولة بعيدة عن مساكننا أو عن العمران، بحيث لا يهتدي إلى العودة إلى أبيه سبيلا إن هو سلم فيها من الهلاك: (يخل لكم وجه أبيكم) فيكن كل توجهه إليكم، وكل إقباله عليكم، بخلو الديار ممن يشغله عنكم أو يشارككم في عطفه وحبه، وهذه الجملة من فرائد"[23].

---

[17]) سحر لغة الجسد، الكاريزما القياديّة، ليلى شحرور، الدار العربيّة للعلوم، بيروت، ط1، 2010م، ص 15- 16 .

[18]) قيادة الرسول وخلافته والأنماط المثاليّة للسلطة لماكس فيبر(دراسة مقارنة)، نيفين عبد الخالق مصطفى، مجلة العلوم الاجتماعيّة، الكويت، 1986م، ص 147 .

[19]) مفاتيح الغيب ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ: 437/18.

[20]) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م: 379/4.

[21]) تفسير الرازي: 213/1.

[22]) نفسه: 646/3.

[23]) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،: 1990 م: : 212/12.

ويتمثل هذا النوع من السلطة أيضا في إصرار زليخا على فعل الفحشاء في قوله تعالى:" **لَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ**" يوسف: 32.

فـ"إن امرأة العزيز صرحت بما فعلت فقالت وَلَقَدْ راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ يعني فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبته منه وإنما صرحت بذلك؛ لأنها علمت أنه لا ملامة عليها منهن وأنهن قد أصابهن ما أصابها عند رؤيته ثم إن امرأة العزيز قالت وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ يعني وإن لم يطاوعني فيما دعوته إليه لَيُسْجَنَنَّ أي ليعاقبن بالسجن والحبس وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ يعني: من الأذلاء المهانين"[24].

ولو تتبعنا المراحل التي مرَّ بها النبي يوسف (عليه السلام) في بيت عزيز مصر لوجدنا أنَّ امراة العزيز سيطرت عليها سلطة النفس الأمارة بالسوء، مع وسوسة الشيطان حتى جعلت حبها (الذي كان من المفترض ان يكون حب الأم لولدها) يتحول إلى هذه الصورة البشعة المتمثلة بممارسة الظلم والبهتان على النبي يوسف في سبيل تحقيق غايتها والنيل منه.

ثمَّ "إنها جعلت صدور الإرادة المذكورة عن يوسف عليه السلام أمرا محققا مفروغا عنه غنيا عن الإخبار بوقوعه، وإن ما هي عليه من الأفاعيل لأجل تحقيق جزائها، ولم تصرح بالاسم بل أتت بلفظ عام تهويلا للأمر ومبالغة في التخويف كأن ذلك قانون مطرد في حق كل أحد كائنا من كان، وذكرت نفسها بعنوان أهلية العزيز إعظاما للخطب وإغراء له على تحقيق ما يتوخاه بحكم الغضب والحمية كذا قرّره غير واحد"[25] .

المبحث الثاني

وسائل تمكين السلطة في القرآن الكريم:

يتخذ المتكلم مجموعة من الوسائل لتمكين سلطته لغرض إقناع المتلقي ومن هذه الوسائل:

أولا: الكذب: اتخذ أخوة يوسف الكذب وسيلة لهم لإقناع والدهم بموت يوسف، قال تعالى :" **وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ١٦ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ**" يوسف:17.

وهو بكاء كاذب الغرض منه إقناع أبيهم والسيطرة على قلبه بعد أن تخلصوا من يوسف:" وقد أطلق هنا على البكاء المصطنع وهو التباكي. وإنما اصطنعوا البكاء تمويها على أبيهم لئلا يظن بهم أنهم اغتالوا يوسف- عليه السلام-، ولعلهم كانت لهم مقدرة على البكاء مع عدم وجدان موجبه، وفي الناس عجائب من التمويه والكيد. ومن الناس من تتأثر أعصابهم بتخيل الشيء ومحاكاته فيعتريهم ما يعتري الناس بالحقيقة. وبعض المتظلمين بالباطل يفعلون ذلك، وفطنة الحاكم لا تنخدع لمثل هذه الحيل"[26].

ثانيا: الحكمة والعلم: فقد تميّزت شخصيَّة يوسف -عليه السلام- بالحكمة والعلم، حيث قال الله -تعالى- فيه: (وَلَمّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيناهُ حُكمًا وَعِلمًا وَكَذلِكَ نَجزِي المُحسِنينَ)؛ ومن المفسّرين من فسّر وصف الله -تعالى- ليوسف بأنّه بلغ أشدّه؛ أي بلغ مبلغًا من الحنكة والمعرفة، وفي قصّة يوسف مواقف عديدةٌ تدلّ على حكمته وعلمه وحسن تفكيره وتدبيره؛ الحيلة التي احتالها على إخوته ليبقي أخاه عنده.

فـ" الحكم النبوة والعلم الفقه في الدين. وقيل: حكما يعني إصابة في القول، وعلما بتأويل الرؤيا. وقيل: الفرق بين الحكيم والعالم، أن العالم هو الذي يعلم الأشياء والحكيم الذي يعمل بما يوجبه العلم، وكذلك

---

[24]) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ: 526/2.

([25]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت: 6/ 409.

[26]) التحرير والتنوير: 235/12.

نجزي المحسنين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: المؤمنين، وعنه أيضا: المهتدين. وقال الضحاك: الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه السلام"[27].

فمن أوتي العلم والحكمة استطاع فرض سيطرته باستعماله لعلمه وحكمته في التأثير على المقابل، فإخوة النبي يوسف (عليه السلام) "لما أساؤا إليه، ثم إنه صبر على تلك الشدائد والمحن مكنه الله تعالى في الأرض، ثم لما بلغ أشده آتاه الله الحكم والعلم، والمقصود بيان أن جميع ما فاز به من النعم كان كالجزاء على صبره على تلك المحن، ومن الناس من قال: إن النبوة جزاء على الأعمال الحسنة، ومنهم من قال: إن من اجتهد وصبر على بلاء الله تعالى وشكر نعماء الله تعالى وجد منصب الرسالة. واحتجوا على صحة قولهم: بأنه تعالى لما ذكر صبر يوسف على تلك المحن ذكر أنه أعطاه النبوة والرسالة"[28] .

ثم قال تعالى: وكذلك نجزي المحسنين وهذا يدل على أن كل من أتى بالطاعات الحسنة التي أتى بها يوسف، فإن الله يعطيه تلك المناصب، وهذا بعيد لاتفاق العلماء على أن النبوة غير مكتسبة

ثالثا: التمكين: لكي تتحقق السلطة لا بد من النفوذ والتمكين، وهذا ما طلبه النبي يوسف من الملك إذ قال:**" الَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ" يوسف: 55.**

قال الزمخشري:" ولني خزائن أرضك إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ أمين أحفظ ما تستحفظنيه، عالم بوجوه التصرف، وصفا لنفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه، وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى وإقامة الحق وبسط العدل، والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أنّ أحدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا. وعن النبي ﷺ «رحم الله أخى يوسف، لو لم يقل اجعلنى على خزائن الأرض، لاستعمله من ساعته، ولكنه أخر ذلك، سنة «3» فإن قلت: كيف جاز أن يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعاً له وتحت أمره وطاعته؟

قلت: روى مجاهد أنه كان قد أسلم: وعن قتادة. هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملا من يد سلطان جائر، وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه. وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق. فله أن يستظهر به. وقيل: كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى، فكان في حكم التابع له والمطيع"[29].

فكان طلب يوسف للملك والسيطرة من أجل إقامة الحق، والدفاع عن المظلومين ونشر العدالة بين الناس، وإداء الحقوق لأصحابها، ولا يستطيع فعل ذلك إلا بموجب سلطة يمنحا له الملك وقد تحقق له ذلك.

ف"اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ أي ولني على خزائن أرضك أرض مصر، والخزائن هي الأهراء التي يجمع فيها الغلات، لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها، فيتصرف لهم على الوجه الأحوط، والأصلح، والأرشد إِنِّي حَفِيظٌ أي أمين أحفظ ما تستحفظنيه عَلِيمٌ أي عالم بوجوه التصرف، هذا تعليل لطلبه، وصف نفسه بالأمانة، والكفاية، وهما طلبة الملوك ممن يولونه، وهما الصفتان اللتان يحتاجهما كل عمل. وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله، وإقامة الحق، وبسط العدل، والتمكن مما لأجله بعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلبه ابتغاء وجه الله، لا لحب الملك والدنيا"[30]

والنتائج والتوصيات

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

---

[27]) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ: 2/ 483.

([28]) مفاتيح الغيب للرازي: 436/18.

[29]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ: 482/2.

([30]) الأساس في التفسير:2662/5

1- تتخذ السلطة مجموعة من المظاهر المتنوعة، وتتنوع هذه المظاهر بتنوع الخطاب الذي بدوره يتخذ أشكال متنوعة لتحقيق الغاية المرجوة في ممارسته وهي إقناع المتلقي بالفكرة المطروحة.
2- ليس بالضرورة أن تكون السلطة تمارس دور الاستبداد والعنف، بل ربما يكون فرض السلطة بوساطة الرفق واللين، وهذا ما تلمسناه في سلطة النبي يوسف على أبناءه، فقد كانت ممارسته لسلطته الأبوية ممارسة رحيمة ممزوجة بحب وعاطفة الأب، فضلا عن سلطته الأساسية بوصفه نبي مرسل من الله سبحانه وتعالى، ولكن كانت عاطفة الأبوة هي الغالبة في خطابه.
3- تتحقق السلطة بوساطة وسائل تمكنها من تجسيد تلك السلطة، والوسائل التي تحققت للنبي يوسف هي: سلطة الأب، وسلطة النبي، أما وسائل السلطة عند النبي يوسف فقد تنوعت كما وضحناها في ثنايا البحث.
4- يكون الإقناع والتأثير غاية مهمة للسلطة، بل يكاد يكون الإقناع والتأثير هو الغاية الأساس للغة بصورة عامة.
5- إنَّ السلطة يمكن أن تتحقق بدون ممارسة، ولكن يمكن ان تفرض نفسها بالرفق واللين، واكتساب الآخر بالاحتواء وحب الخير والاعمال الصالحة كما فرضها النبي يوسق وهو في أبعد مكان وهو السجن، فوصلت سلطة الخير إلى ملك مصر فأعطاه خزائن الأرض.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- الأساس في التفسير، سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)، دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، 1424 هـ.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: 4 - 1987 م
- تحليل الخطاب، هبة عبد المعز أحمد (03-03-20119)، مؤسسة النور للثقافة والإعلام.
- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،: 1990 م.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م.
- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م. .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

- سحر لغة الجسد، الكاريزما القياديّة، ليلى شحرور، الدار العربيّة للعلوم، بيروت، ط1، 2010م.
- السلطة السياسية في نظرية الدولة، ماهر عبد الهادي.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)
- علم الاجتماع السياسي، مولود زايد الطيب، منشورات جامعة السابع من ابريل، بنغازي، 2007:.
- قيادة الرسول وخلافته والأنماط المثاليّة للسلطة لماكس فيبر(دراسة مقارنة)، نيفين عبد الخالق مصطفى، مجلة العلوم الاجتماعيّة، الكويت، 1986م
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ: .
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)،الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م) .
- مفاتيح الغيب ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ: 437/18.
- الموسوعة السياسية، عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.